مجلة الدراسات الإيرانية

دراسات وأبحاث علمية متخصصة

مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر باللغتين العربية والإنجليزية

السنة الثامنة – العدد العشرون – أكتوبر 2024م

تصدر عن

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

مستقبل العلاقات الإيرانية-الروسية في ظل رئاسة بزشكيان

د. حمدي بشير

باحث في قضايا الأمن الإقليمي ومكافحة الإرهاب

مستخلص:

تتناول هذه الدراسة مستقبل العلاقات الإيرانية-الروسية بعد فوز الرئيس «الإصلاحي» مسعود بزشكيان في الانتخابات الرئاسية في يوليو 4202م، حيث شهدت العلاقات بين البلدين تقاربًا متناميًا خلال رئاسة الرئيس السابق إبراهيم رئيسي، في حين أظهر الرئيس بزشكيان اهتمامًا خاصًا باستعادة العلاقات مع الدول الغربية، وهو ما قد يمثل تحولًا في التوجهات الإيرانية إزاء العلاقات مع روسيا. ومن ثم تسعى هذه الدراسة لبحث مدى تأثير فوز الرئيس الجديد على التقارب الإيراني-الروسي، وحدود التغيير والاستمرارية في سياسة بزشكيان مقارنة بسياسة سلفه «المحافظ» تجاه روسيا، والعوامل التي تُعزز من توجه الرئيس «الإصلاحي» لتغيير السياسة الخارجية الإيرانية التي انتهجها الرئيس السابق تجاه روسيا، والعوامل التي تحد من قدرة بزشكيان على التغيير، وتوقع المسارات المحتملة لمستقبل العلاقات الإيرانية-الروسية في ظل رئاسة بزشكيان، والسيناريو المرجح لاتجاه هذه العلاقات في ضوء المتغيرات الداخلية والإقليمية والدولية الراهنة.

الكلمات المفتاحية: روسيا، إيران، الولايات المتحدة، العقوبات، البرنامج النووي الإيراني، الحرب في غزة، حزب الله، الحوثيين.

Abstract

This research article analyzes the future of Iran–Russia relations after the election of "reformist" Masoud Pezeshkian as president in July 2024. During the term of former President Ebrahim Raisi, the relationship between the two countries grew closer, but Pezeshkian has shown a keen interest in restoring relations with Western countries, representing a shift in Iran–Russia relations. This research article examines the impact of the newly elected Iranian President Pezeshkian on Iran–Russia relations, comparing his policies with those of his "conservative" predecessor, Raisi. It also explores the factors that influence Pezeshkian's reform agenda with regard to Iranian foreign policy toward Russia and the constraints he faces in implementing these changes. Finally, it suggests potential scenarios for Iran–Russia relations under Pezeshkian, taking into account current internal, regional, and international developments.

Key Words: Russia, Iran, sanctions, the Iranian nuclear program, the war in Gaza, Hezbollah, the Houthis.

مقدمة

يمثل فوز الرئيس الإيراني «الإصلاحي» مسعود بزشكيان في الانتخابات الرئاسية الإيرانية عقب وفاة الرئيس إبراهيم رئيسي متغيرًا مهمًا في المشهد السياسي الإيراني، يُتوقع أن يكون له تداعياته على توجهات السياسة الخارجية الإيرانية، خاصةً فيما يتعلق بمستقبل العلاقات الإيرانية-الروسية، حيث شهدت هذه العلاقات تطورًا كبيرًا في كافة المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية في عهد رئيسي، في حين أدلى بزشكيان بالعديد من التصريحات بشأن توجهات سياساته الخارجية تجاه الدول الغربية، ودعا إلى خفض التوتر والعودة إلى المفاوضات بشأن البرنامج النووي الإيراني، وقد أثارت هذه التصريحات مخاوف الروس من تراجع العلاقات الإيرانية-الروسية خلال الفترة المقبلة.

ومن ثم يطرح فوز بزشكيان في الانتخابات الرئاسية الإيرانية الأخيرة 2024م تساؤلات عديدة حول مستقبل العلاقات الإيرانية-الروسية، والعوامل والمحددات التي تؤثر على مستقبل هذه العلاقات، وتوقع مساراتها وسيناريوهاتها المحتملة، وحدود التغيير والاستمرارية في هذه العلاقات، مقارنةً بالمستوى الذي وصلت إليه خلال فترة رئيسي، وذلك في سياق المتغيرات التي تشهدها البيئة الدولية والإقليمية، وخاصةً التطورات التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط.

أولًا: العلاقات الروسية-الإيرانية في ظل رئاسة رئيسي

مثل انتخاب رئيسي في عام 2021م بداية مرحلة جديدة في العلاقات الروسية-الإيرانية، حيث تبنى رئيسي نهجًا أكثر تحفظًا وتشددًا تجاه الدول الغربية، مع إعطاء الأولوية لإستراتيجية التوجه شرقًا، التي استندت إلى الاعتقاد بأن الدول الشرقية، خاصةً الصين وروسيا، هم شركاء أكثر موثوقية لإيران من الغرب.

وقد عززت الحرب الروسية-الأوكرانية بجانب التنافس العالمي المتصاعد بين الولايات المتحدة وروسيا والصين من هذا التوجه، وكانت هذه الإستراتيجية -في تقدير رئيسي- أداة فعالة في مواجهة تأثير العقوبات الأمريكية، وتوسيع نطاق الخيارات الإستراتيجية الإيرانية على المدى الطويل، وحظي هذا التوجه بدعم الفصيل «المتشدد» الذي ينتمي إليه رئيسي، باعتباره خيارًا استراتيجيًا أكثر منه مناورةً تكتيكية[1].

وقد تأثرت إستراتيجية «التوجه شرقًا» التي انتهجها رئيسي بمجموعة متنوعة من العوامل، ولاسيما الإخفاق في إحياء خطة العمل الشاملة المشتركة ورفع العقوبات الأمريكية المستمرة، وفي الوقت نفسه وفر المشهد الجيوسياسي المتغير في أوراسيا والشرق الأوسط، مثل الحرب الروسية في أوكرانيا فرصًا جديدةً أمام العلاقات بين البلدين. علاوةً على تصاعد موجة متزايدة من «التشدد» التي اجتاحت المشهد السياسي الإيراني منذ الانتخابات الرئاسية لعام 2021م، ولاسيما الاستبعاد الواسع النطاق لجميع

المرشـــحين «المعتدلين» و «الإصلاحييـــن» من قِبل مجلس صيانة الدســـتور في هذه الانتخابات، بجانب تصاعُد الاحتجاجات الشـــعبية الإيرانية. وشـــهدت إدارة رئيسي دورًا متزايدًا للحرس الثوري الإيراني مع تولي قادة ســـابقين في الحرس لمناصب سياسية رفيعة المســـتوى، ولعبت قوة القدس النخبوية التابعة للحرس دورًا بارزًا في تشـــكيل السياسة الخارجية وتنفيذها[2].

ومن ثَّم، فقد شـــهدت العلاقات الإيرانية-الروسية في عهد رئيســـي تطورًا كبيرًا، من ذلك تنسيق البلدين مواقفهما بشأن عدد من القضايا الدولية، بما في ذلك البرنامج النووي الإيراني، والحرب في سوريا، والوضع في منطقة بحر قزوين، والعمليات السياسية والأمنية في أفغانستان، بالإضافة إلى التنسيق في أســـواق النفط والغاز. كما لعبت إيران دورًا مهمًا في تزويد روسيا بالأســـلحة بعد تصاعد الحرب الروســـية-الأوكرانية. وبعد عام 2022م، أصبحت إيران لاعبًا مهمًا في خطط إنشاء ممر الشمال- الجنوب للالتفاف على العقوبات، وهو جانب آخر من جوانب تنشيط العلاقات الاقتصادية الروسية الإيرانية[3].

واقتربت روسيا وإيران من بعضهما سياسيًا وعســـكريًا، حيث انضمت طهران لاتفاقية التجارة الحرة مع الاتحاد الاقتصادي الأوراســـي بقيادة روســـيا[4]، وتوسع التعاون العسكري الروســـي-الإيراني بشكل كبير منذ بداية الحرب الروســـية في أوكرانيا، وبدأ الإيرانيون في إرســـال مئات الطائرات الاســـتطلاعية والهجومية بعيدة المدى إلى روسيا في أغسطس 2022م، بعد أن اســـتنفد الروس إمداداتهم من الصواريخ، وسمحت هذه الطائرات لروسيا بالحفاظ علـــى الضغط على الدفاعـــات الجوية الأوكرانية وزيادته، حتـــى مع عملها على توســـيع إنتاج أنظمة الصواريخ الخاصة بها وتعديلها، كما ســـاعد الإيرانيون روسيا في بناء مصنع ضخم في تتارستان الروسية قادر على إنتاج الآلاف من هذه الطائرات دون طيار[5].

وتُشـــير التقارير إلى أن روســـيا زودت إيران ببرامج مراقبة متقدمة، وأموال ومســـاعدة فنيـــة لبرنامج إطلاق الصواريخ ومركبة الإطلاق الفضائيـــة الإيرانية. ويُعد برنامج إطلاق الصواريخ الفضائية مهمًا بالنسبة لإيران؛ لأنه يمكن أن يدعم تطوير الصواريخ الباليستية العابرة للقارات القادرة على حمل رؤوس نووية. وسلم الروس الإيرانيين طائرتين تدريبيتين قتاليتين من طراز ياك-130 في 02 سبتمبر 2023م، كما أشارت بعض التقارير إلى أن الروس كانوا يتقاسمون الأسلحة التي استولوا عليها من الولايات المتحدة وحِلف شمال الأطلسي مع إيران؛ من أجل إعادة تصنيعها وتطوير تدابيـــر مُضادة لها. وأكدت التقارير أن الإيرانيين طلبوا من روسيا المساعدة في الحصول على مواد نووية إضافية في تصنيع الوقود النووي[6].

وقد دفعهمـــا هذه التقارب المتنامي في اتجاه توقيع اتفاقية للتعاون الشـــامل، ففي 25 يونيو 2024م أكد نائب وزير الخارجية الروسي أندريه رودينكو أن بلاده تتوقع توقيع اتفاقية التعاون الشامل مع إيران في المستقبل القريب جدًا، وكان البلدان قد اتفقا في عام 2020م على العمل على اتفاقية جديدة تحل محل الوثيقة القديمة، حيث دعت اتفاقية عام 2001م

إلى التعاون في مجالات الأمن ومشـــاريع الطاقة بما يشـــمل الاســـتخدام السلمي للطاقة النووية، وبناء محطات الطاقة النووية، والصناعة والتكنولوجيا[7]. ويبدو أن وفاة رئيسي قد حالت دون توقيع هذا الاتفاق الاستراتيجي، وأرجأته حتى يأتي الرئيس الجديد.

وعلى الرغم من التفاهم الروســي-الإيراني تجاه العديد من الملفات الإقليمية، فإن ثمة تباين في الــرؤى بين الدولتين إزاء بعض القضايا الإقليمية، وعلى ســبيل المثال الموقف الروســي من احتلال إيران للجزر الإماراتية الثلاث، ففي يوليــو 2023م أكد وزير الخارجية الإيراني الســابق، حسين أمير عبد اللهيان أن بلاده لا تتســامح مع أي طرف آخر في قضايا تتعلق بسلامة الأراضي الإيرانية، لافتًا إلى أن طهران تلقت تفســيرات روســية لكنها غير كافية، وجاء ذلك بعد انتقادات إيرانية حادة لروســيا بسبب تأييدها طلبًا إماراتيًا لحل أزمة الجزر الثلاث عبر الحلول الســلمية[8]. فيمــا تتباين الرؤى الإيرانية والروســية في الملف السوري، بســبب العديد من العوامل ومن أبرزها: التنسيق الروسي مع الأطراف الإقليمية والدولية في ســوريا بمعزل عن إيران، ولاســيما تقارب المصالح التركية-الروسية في ظل تصادم الطموح الإيراني-التركي وانتماءاتهما المذهبية المختلفة، وأولوية الأمن الإسرائيلي في الأجندة الروسية، علاوةً على رغبة روسيا في الحَد من الميليشيات في سوريا، أما إيران مستمرة في تعزيز حضورها المسلح لفرض واقع مكافئ للوجود العسكري الروسي[9].

ثانيًا: توجهات السياسة الخارجية للرئيس بزشكيان

عندما توفي الرئيس الســابق إبراهيم رئيســي ووزير خارجيته حسين أمير عبد اللهيان في حادث تحطم مروحية في التاســع عشــر من مايو 2024م، لم يُظهِر النظام الإيراني خاصةً مكتب المرشــد الأعلى ومجلس صيانة الدســتور أي علامات على تغيير إستراتيجيته في «هندسة الانتخابات» للحفاظ على سيطرة «المحافظين» على السلطة التنفيذية. علاوةً على ذلك، أشاد المرشد الأعلى آية الله خامنئي علنًا بسياسات رئيسي، ودعا إلى استمرارها. مما جعل انتخاب مسعود بزشكيان مفاجأة لكثيرين.

لقد وعد بزشــكيان بإحياء العمليات الدبلوماســية مع الغرب، وإعــادة العمل بالاتفاق النووي، وقال: «ربما يمكن للمرء أن ينجو من العقوبات، ولكن لا يمكن للمرء أن يتقدم»، كما أكد الحاجة إلى تهدئة التوترات مع الغرب، وقال: «نسعى إلى علاقات جيدة مع أوروبا تقوم على الاحترام المُتبادل والمســاواة. كما أن الافتقار إلى العلاقات السياســية مع الولايات المتحدة لا ينبغي أن يؤدي إلى توترات وصراعات مكلفة»[10].

وقد عد كثير من المراقبين والمتابعين للشــأن الإيراني أن دعوة بزشــكيان خلال حملته الانتخابية إلى «الحوار والانفتاح على العالم الخارجي»، تُشــير إلى نهج «براجماتي» يُعيد التوازن بين تأثير البعدين «الأيدلوجي» و«البراجماتي» على السياســة الخارجية لإيران، ويدفع نحو رفع العقوبات الاقتصادية بما يُســهم في تخفيف حالة العُزلة والحصار، كخيار أنجــع لمعالجة القضايــا الداخلية، التي تشكل وقودًا دائمًا لإشــعال نيــران الاحتجاجات

الضاغطة على النظام الإيراني، إذ يُسهم الانفتاح على العالم الخارجي وفق رؤية الرئيس بزشكيان في خلق بيئة مواتية لتحسين الأوضاع المعيشية والاقتصادية المُتردية، وتعزيز النمو الاقتصادي، ووقف مسار الهجرة لإعادة بناء الدولة الإيرانية الجديدة[11].

وقد تضمنت كلمة بزشكيان أثناء مناظرته التلفزيونية الأولى في الجولة الثانية من الانتخابات الرئاسية بتاريخ 01 يوليو 2024م إشارات إلى ضرورة المساومة، والجلوس مع الخصوم لحل كل الخلافات العالقة، بقوله: «علينا أن نجلس ونساوم ونحل مشاكلنا مع العالم». وأوضح: «سياستي الخارجية هي من أجل الشعب وتحفيزه على البقاء والبناء والنمو الاقتصادي والتنمية». وحدد في مقالته المعنونة بـ «رسالتي إلى العالم الجديد»، بتاريخ 12 يوليو 2024م المصلحة كمبدأ أصيل ضمن المبادئ الحاكمة لسياساته الخارجية، بقوله: إن «السياسة الخارجية لحكومته تستند على مبادئ العزلة والحكمة والمصلحة». كما أن قُرب وزير الخارجية الأسبق محمد جواد ظريف، من الرئيس الجديد قبل الانتخابات وبعد استلامه السلطة، يحمل دلائل واقعية بالغة الأهمية على التوجهات البراجماتية للرئيس الجديد تجاه القضايا الخارجية، في سيناريو يحاكي توجهات روحاني-ظريف تجاه الغرب الأوروبي الأمريكي[12]. ومن ثم يمكن الإشارة إلى أهم ملامح توجهات السياسة الخارجية للرئيس بزشكيان على النحو الآتي:

1. العودة لفتح الحوار مع الولايات المتحدة والدول الغربية

تُشير تصريحات بزشكيان خلال حملته الانتخابية إلى توجه مختلف عن نهج رئيسي، بالعودة إلى الحوار مع الولايات المتحدة والدول الغربية، لكون مسار الانغلاق في تقديره، حال دون تحقيق الهدف الأسمى للمرشد، والمتمثل في تحويل إيران إلى المرتبة الأولى إقليميًا في كافة المجالات بحلول العام 2025م؛ لذلك يرى أن فلسفة السياسة القائمة على الدبلوماسية الاقتصادية لإفقاد ورقة العقوبات جدواها التي تبناها الرئيس الراحل رئيسي، لن تُفلح في التخفيف من وطأة العقوبات وتحسين الأحوال المعيشية، وتراجع معدلات الاحتجاجات الشعبية؛ لكونها تعمل على المدى البعيد، إنما الأزمات الإيرانية الراهنة تحتاج إلى حلول فورية وسريعة، ويتطلب ذلك بذل العودة لفتح الحوار مع الولايات المتحدة والدول الغربية، من أجل رفع العقوبات وتوفير عوائد مالية كبيرة تُسهم في تحسين المستويات الاقتصادية والمعيشية في البلاد. ويرى أن أولوية المفاوضات النووية مُلحة بهدف رفع العقوبات الضاغطة على الاقتصاد الإيراني، حيث إن العودة للاتفاق النووي لها مردود إيجابي كبير على إيران بوقف نزيف الخسائر الإيرانية اليومية بعدم القدرة على تعزيز صادرات النفط في ظل تزايد حالة الاحتقان الشعبي، لذلك وعد بزشكيان بمراجعة قانون الخطوة الإستراتيجية لإلغاء العقوبات الأمريكية لخفض الالتزامات النووية الذي أقره البرلمان في ديسمبر 2020م. كما عبّر الرئيس الإيراني عن رغبته في الدخول في حوار

بناء مع الدول الأوروبية لوضع العلاقات على المسار الصحيح استنادًا إلى مبادئ الاحترام المتبادل[13].

2. الحياد وعدم الانحياز تجاه الشرق والغرب

كشفت المناظرة الرئاسية التي جرت في الأول من يوليو 2024م لبزشكيان حول مزايا التحول في السياسة الخارجية الإيرانية نحو الشرق، عن توجه بزشكيان لتحقيق نوع من التوازن في العلاقات مع الشرق والغرب، واستشهد بزشكيان بشعار المرشد الأعلى السابق آية الله الخميني «لا شرق ولا غرب»، ودافع عن الاتفاق النووي، وخطة العمل الشاملة المشتركة، وسلّط الضوء على الحاجة إلى استعادة الحياد التقليدي لإيران وعدم الانحياز في الشؤون الخارجية، مما يؤدي إلى اتباع نهج مختلف عن سلفه الراحل إبراهيم رئيسي يُعيد إيران إلى الانخراط مع الغرب.[14] ولذلك على الرغم من توجه بزشكيان للانفتاح على الدول الغربية لكنه أكد في الوقت نفسه على ضرورة تعزيز العلاقات مع روسيا والصين، ولاسيما في سياق بناء عالم مُتعدد الأقطاب؛ لأن تعزيز العلاقات مع هذه الدول يُعزز القوة الإيرانية وشروطها التفاوضية، يقول: «الصين وروسيا دائمًا ما كانا يقفان بجانبنا في الأيام الصعبة ونحن نقدر هذه الصداقة»، مضيفًا: «روسيا حليف إستراتيجي ذو قيمة بالنسبة لإيران، وهي جارتنا، وستتعهد حكومتي بتوسيع وتعزيز التعاون معها وسأواصل إعطاء الأولوية للتعاون الثنائي والمتعدد الأطراف مع روسيا، وخاصة في أطر مثل مجموعة البريكس، ومنظمة شنغهاي للتعاون والاتحاد الاقتصادي الأوراسي»[15].

وفي الثاني عشر من يوليو 2024م حدد بزشكيان مبادئ سياسته الخارجية في مقال باللغة الإنجليزية نُشر في صحيفة «طهران تايمز»، أكد فيه أن إدارته «ستسعى إلى اتباع سياسة مدفوعة بالفرص» تهدف إلى «خلق التوازن في العلاقات مع جميع البلدان»، وأشار بزشكيان إلى روسيا باعتبارها «حليفًا استراتيجيًا قيمًا»، ودعا إلى «التعاون على نطاق أوسع» مع الصين. ومع ذلك، تظل نبرة بزشكيان تجاه الغرب مزيجًا مألوفًا من التحذيرات والمظالم التاريخية النموذجية لمسؤولي الجمهورية الإسلامية. وينقل المقال أن أي تحسن في العلاقات يجب أن يبدأ باتخاذ الغرب للخطوة الأولى. وهو ما وصفه بعض المراقبين بأنه بيان يُشير إلى الاستمرارية وليس التغيير، حيث يُشير بعض المراقبين إلى أن المبادئ التي ذكرها بزشكيان من إعطاء الأولوية للعلاقات مع الجيران إلى تعزيز الشراكات مع روسيا والصين، والمشاركة الفعّالة في منظمة شنغهاي للتعاون ومجموعة البريكس تعكس تلك التي سعت إليها إدارة رئيسي على مدى السنوات الثلاث الماضية. وعلى سبيل المثال، يصف حميد أبو طالبي، المستشار السياسي للرئيس السابق حسن روحاني، مقال بزشكيان بأنه «صورة مشوشة وغير محددة الأولويات وحالمة وغير متماسكة مع الكثير من العموميات». ويسأل بزشكيان: «إذا كانت الدول الأوروبية قد انتهكت جميع التزاماتها (كما تقول) لكنها تتوقع بشكل غير معقول من إيران الالتزام من جانب واحد

بجميع التزاماتها بموجب خطة العمل الشـــاملة المشـــتركة، فكيف تكون مستعدة لإجراء حوارات بناءة مع الدول الأوروبية؟». ومع ذلك، يرى الدبلوماســـي الإيراني الســـابق محمد كاظم سجادبور، أن الرسالة الرئيسية لمقال بزشكيان هي «التوازن والتوازن»، ويفترض أن السياسة الخارجية لبزشكيان ستكون «مزيجًا من الاستمرارية والتغيير»[16].

ثالثًا: محفزات التغيير في السياسة الإيرانية تجاه روسيا

تجد إيران نفسها في ظل رئاسة بزشكيان في مواجهة عوامل تدفعها في اتجاه تحقيق نوع من التوازن في سياستها تجاه الشـــرق والغرب، وعوامل أخرى تدفعها نحو الاستمرار ومواصلة سياســـة الرئيس الراحل، وتتمثل عوامل التغيير ودوافعه في سياسة طهران تجاه روسيا في العوامل الآتية:

1. الضغوط السياسية والاقتصادية الداخلية

يواجه الرئيس بزشـــكيان ضغوطًا داخليةً مُلحةً، وعلى رأســـها اقتصاد ضعيف، أضعفته سنوات من ســـوء الإدارة والعقوبات، وانقســـام اجتماعي عميق في أعقاب حملات القمع الوحشية للاحتجاجات الشعبية في عام 2022م. ويُشـــير مراقبون إلى أن المرشد الإيراني خامنئي ودائرته الداخلية، التي وافقت على قائمة المرشـــحين، يعترفون بأن الاضطرابات الأخيرة شوهت إلى حد كبير شرعية النخبة الحاكمة في إيران، وأن انتخاب بزشكيان يعكس الفشل الشامل لسياسات رئيسي «المتشددة» في تحقيق النجاح في التعامل مع القضايا الاقتصادية والاجتماعية الداخلية[17].

وقد أظهرت المشـــاركة الضعيفة نســـبيًا في الانتخابات الرئاسية مدى يأس الإيرانيين من النظام السياســـي، الذي يهيمن عليه «المحافظون» واقتناعهم بعجزه عن إيجاد حلول لمشاكلهم. وقد ســـبق ذلك العديد من الاحتجاجات التي أخذت منحًا تصاعديًا كمًا ونوعًا، وربما يكون هذا هو الذي دفع خامنئي إلى هندســـة الانتخابات بالطريقة التي جرت بها بحثًا عن مخـــرج للأزمة الداخلية. فمن المعلوم أن جذور الأزمـــة تكمن في العقوبات المصرفية والدولية، لذلك ثمة من يرى أن خامنئي قد يُفســـح المجال لبزشـــكيان لفتح قنوات الحوار مع الدول الغربية على أمل أن تفضي سياسته إلى رفع العقوبات لتجنب اندلاع احتجاجات جديدة[18].

وقد أشـــار بعض المراقبين إلى أن إســـتراتيجية «التوجه شـــرقًا» لم توفر سوى فرص اقتصادية محدودة لا تكفي لتعويض التأثير السلبي للعقوبات؛ فقد خضعت إيران لمجموعة واسعة من العقوبات بســـبب برنامجها النووي، ودعمها للإرهاب وسجلها في مجال حقوق الإنســـان، وعندما أعادت إدارة الرئيس الأمريكي الســـابق دونالد ترامب فرض العديد من العقوبات في عام 2018م انهار الاقتصاد الإيراني، وانخفضت صادراتها النفطية، وارتفعت معدلات التضخم لمؤشرات قياسية، حيث بلغ 40% في فبراير 2024م[19].

2. الجدل في الداخل الإيراني حول جدوى العلاقات مع روسيا

تُشير التقارير إلى وجود جدل متنامٍ داخل النخبة الإيرانية حول تطور العلاقات مع روسيا، حيث يوجد اتجاهان بشأن تطوير العلاقات، يدعو الاتجاه الأول الذي تمثله مؤسسة الحرس الثوري وقياداتها وبعض رموز النظام إلى دعم العلاقات مع روسيا، ويدعو الاتجاه الثاني، الذي يعبر عنه رموز التيار «المعتدل» مثل وزير الخارجية السابق، جواد ظريف إلى توخي الحذر إزاء الاصطفاف مع روسيا ومعاداة الدول الغربية.

ويُشير مراقبون إلى أن هناك سقف أقصى لشكل التعاون الإستراتيجي مع إيران يمكن أن تصل إليه سريعًا خلال هذه الفترة كرد فعل على الدعم الإيراني لها. ولا شك أن بلوغ السقف والتراجع عن تقديم المزيد لإيران في المستقبل، سوف يؤدي إلى ترجيح رؤية الاتجاه الثاني داخل النخبة الإيرانية التي تعاني من تخبط واضح تجاه ما يشهده المجتمع الإيراني من حراك غير مسبوق[20].

وكما يوضح انتخاب بزشكيان، فإن الشعب الإيراني يؤيد أيضًا الجهود الرامية إلى رفع العقوبات، ويلقي باللوم عليها في بعض التردي الاقتصادي الذي تعاني منه إيران؛ فقد زادت العقوبات الغربية من الحوافز التي تدفع إيران إلى التجارة مع روسيا والصين والاعتماد عليهما، وأضعفت العقوبات القطاع الخاص المستقل والطبقة المتوسطة، ومكنت النظام من مكافأة أنصاره بالوصول إلى العملات الأجنبية والفرص الاقتصادية، وبالتالي زيادة قوة النظام في مواجهة المجتمع[21].

ولكن الرئيس بزشكيان، على غرار «المعتدلين» في إيران، يُعارض اعتماد طهران الأحادي على روسيا، ويرى أن التعاون مع روسيا ليس بالأمر السهل، ويُشير إلى أن الإمكانات الكاملة لهذه العلاقات لن تتكشف إلا بعد رفع العقوبات وتأسيس سياسة متعددة الاتجاهات. ويدافع العديد من المنتمين للتيار «الإصلاحي» عن هذا التوجه، ويرون أن مساعدة موسكو في حربها ضد أوكرانيا لم تؤدِ إلا إلى زيادة أعباء العقوبات المفروضة على البلاد.[22]

3. الموقف الروسي الحذر تجاه الصراع في منطقة الشرق الأوسط

يبدو أن الموقف الروسي تجاه الصراع في منطقة الشرق الأوسط لم يُلبِ تطلعات قطاع كبير من النخبة الإيرانية الذين يرون أن موسكو ما تزال تحافظ على موقف حذر وتعاون محدود مع ايران تجاه الصراع في المنطقة، فمن الواضح أن العلاقات بين روسيا وإسرائيل ودول الخليج تفرض خيارات صعبة أمام روسيا تجاه إيران، حيث تسعى روسيا إلى تحييد الدور الإسرائيلي في الحرب الروسية – الأوكرانية، ومنع إسرائيل من تقديم الدعم العسكري لأوكرانيا في هذه الحرب، ويبدو أن إسرائيل تُدرك ذلك في مقابل تفاهمات روسية – إسرائيلية لتجنب المواجهة في سوريا والشرق الأوسط. ومن ثم يبدو أن موسكو تحاول قدر الإمكان الحفاظ على موقف «براجماتي» ومحايد تجاه الصراع الإيراني–الإسرائيلي

في منطقة الشـــرق الأوسط. وفي الوقت نفسه، لا ترغب موســـكو في أن تذهب بعيدًا في علاقاتها مع طهران بشكل يضر بعلاقتها مع الدول الخليجية.

وهناك من يرى أن موســـكو تبدو مســـتفيدة من التصعيد في منطقة الشرق الأوسط، لأن الدعم العسكري الأمريكي ســـوف يُركز على حماية أمن إسرائيل ويخفف من الضغط الأمريكي والغربي في ســـاحة الحرب الروسية-الأوكرانية، وربما أصبح الروس في غنى عن سلاح المســـيرات الإيرانية؛ لأنهم قاموا بتوطين هذه الصناعة، وعلى الرغم من الاتصالات السياسية الروسية مع حزب الله، والحوثيين، وحماس، التي تعود إلى سنوات عديدة، لكنها لم تسفر عن مســـاعدة أمنية من روســـيا لهذه الجهات الفاعلة، وإنما ضبط إيقاع الحرب والصراع في حدود المستوى الذي لا ترغب روسيا في تجاوزه[23].

وعلى الرغم من الدعم العســـكري الإيراني لروســـيا في حربها مع أوكرانيا، فإن روسيا لم تقدم للإيرانيين ما يطلبونه بشكل كاف من الدعم العســـكري، فهناك أشـــياء معينة أرادها الإيرانيون منـــذ فترة طويلة ولم يحصلـــوا عليها بعد، مثل الطلـــب الإيراني للحصول على طائرات سوخوي 35 المقاتلة. ويفسر مراقبون الرفض الروسي لمنح إيران أنظمة عسكرية معينة بعدم رغبة روســـيا في إثارة العداء، خاصة مع قوى خليجية مثل الرياض وأبو ظبي، حرصًا من موســـكو على مصالحها مع هذه الدول والتنســـيق في «أوبـــك+» في مواجهة الضغوط الأمريكية[24].

4. الرغبة الأوروبية في استمالة الرئيس «الإصلاحي» وخفض التوتر في الشرق الأوسط

يشـــير مراقبون إلى أن ثمة رغبة أوروبية في فك الارتباط بين النظامين الإيراني والروسي، علاوةً على مخاوف أوروبية من اتســـاع نطاق الحرب في الشرق الأوسط، إلى جانب القلق الأوروبي إزاء التعاون العســـكري بين إيران وروســـيا في المجال النـــووي، وبالتالي فإن فوز الرئيس «الإصلاحي» مســـعود بزشـــكيان في الانتخابات الإيرانية قد يُمثل فرصةً ملائمةً للعواصم الغربية لاســـتمالة الرئيس «الإصلاحي»، خاصةً في ظِل الإشـــارات والرســـائل الإيرانية التي بعث بهـــا الرئيس الإيراني ووزير خارجيته عبـــاس عراقجي، التي تؤكد رغبة طهران في العودة إلى المفاوضات حول برنامجها النووي، وبالتالي فإن الاستجابة الأوروبية لهذه الرســـائل الإيرانية قد يُعزز من الجهود الأوروبية لمنع المزيد من التصعيد العسكري في الشرق الأوســـط، وتحييد الدور الإيراني في الحرب الروســـية-الأوكرانية، وقد يشجع الأوروبيين على الضغط على إسرائيل لوقف إطلاق النار في غزة، ومنع اتساع نطاق الصراع إلى حرب إقليمية[25].

وبعد اغتيال إســـرائيل للأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله، في 27 سبتمبر 2024م، وتكثيف الغارات الإسرائيلية على جنوب لبنان، أصدرت بعض الدول الغربية مثل الولايات المتحدة وفرنسا وحلفائها بيانًا مشتركًا في 25 سبتمبر 2024م يدعو إسرائيل وحزب الله إلى الموافقـــة على وقف إطلاق النار لمدة 21 يومًا، ويمكن خلالها إجراء مفاوضات بشـــأن حل

دبلوماسي للأزمة على الحدود الإسرائيلية-اللبنانية[26]. وعلى الرغم من الانتقادات التي وُجهت للساسة الغربيين في دعمهم إسرائيل، فإن بعض القادة الغربيين، مثل الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، قد دعا إلى حظر تقديم السلاح لإسرائيل، وهو ما أثار موجة غضب كبيرة داخل الحكومة الإسرائيلية[27].

رابعًا: عوامل الاستمرارية في السياسة الإيرانية تجاه روسيا

على الرغم من مُحفزات التغيير التي تدفع بزشكيان نحو تبني سياسة مختلفة عن سلفه، تجاه العلاقات مع روسيا والدول الغربية، فإن ثمة كوابح وتحديات تواجه سياسة الرئيس بزشكيان، ويمكن تناولها على النحو الآتي:

1. تصاعد التوترات الأمريكية-الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط

يُسيطر على منطقة الشرق الأوسط حالة من التوتر، وعدم الاستقرار وترقب لضربة عسكرية إسرائيلية، ردًا على الضربة العسكرية الإيرانية التي استهدفت مواقع وقواعد عسكرية في إسرائيل في الأول من أكتوبر 2024م، التي جاءت ردًا على قيام إسرائيل باغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية، في 31 يوليو الماضي، ثم اغتيال إسرائيل للأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله في 27 سبتمبر 2024م.

وقد دفعت هذه الضربة الإيرانية بمزيد من التصعيد العسكري بين إيران وإسرائيل، حيث أكدت تل أبيب على حقها في الرد، وتدرس إسرائيل خياراتها لتوجيه ضربة قوية لإيران. وفي هذا السياق توقع العديد من المراقبين أن توجه تل أبيب ضربةً عسكريةً للمفاعل النووي، أومنصات ومنابع النفط الإيرانية ومقر المرشد الإيراني، وهو ما يُتوقع حال حدوثه دخول المنطقة في حلقة مفرغة من العنف والهجمات العسكرية والهجمات المضادة بين إيران وإسرائيل، وليس من المستبعد أن يؤدي المزيد من التصعيد بين القوتين إلى تدخل عسكري أمريكي لحماية إسرائيل وأمنها، وقد اتجهت الولايات المتحدة بالفعل إلى حشد قواتها في المنطقة تحسبًا للضربة العسكرية المحتملة، وهو ما يزيد من مناخ التوتر بين إيران والولايات المتحدة وزيادة احتمالات التصعيد بين إسرائيل وايران، علاوةً على الضربات العسكرية الإسرائيلية المستمرة لمواقع حزب الله واستهداف قياداته، واستمرار الهجمات العسكرية بين «الحوثيين» والولايات المتحدة في منطقة البحر الأحمر، وهو ما يتوقع معه زيادة التوترات بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية، وتقليص فرص العودة إلى الحوار بين الجانبين.

وقد حدد الرئيس الإيراني بزشكيان بالفعل بعض أولوياته الإقليمية في «دعم المقاومة المتجذرة في جوهر سياسة إيران»، وشكر «جماعة أنصار الله الحوثية» على دعمهم للشعب الفلسطيني، وأشاد بهجماتهم على خطوط الشحن الدولية في البحر الأحمر باعتبارها قرارًا شجاعًا، ومن ثم فإن اتصالات بزشكيان مع محور المقاومة الإيراني لا تؤكد فقط على مركزية هذه الجماعات في جهود طهران لمواجهة إسرائيل، خاصة مع استعداد

الجيش الإسرائيلي لهجوم محتمل على لبنان، بل تشير أيضًا إلى استمرار السياسة الإقليمية التي تنتهجها إيران منذ فترة طويلة.[28]

ويرى مراقبون أن التصعيد في منطقة الشـــرق الأوســـط يأتي نتيجـــة انخراط إيران في الحرب الروســـية-الأوكرانية، وأن إيـــران تواجه تحدي انتقال المواجهات مع روســـيا إلى أراضيها بهدف إثنائها عن دعم الأخيرة، أو على الأقل رفع كلفة هذا الدعم. وقد تعرض مركز تصنيع للذخائر في مدينة أصفهان الإيرانية لهجوم عســـكري في 29 يناير 2023م بواسطة ثلاث مســـيرات، ودشـــن بداية مرحلة جديدة من المواجهات مع إيران، فعلى الرغم من أن الهجوم لم يكن الأول من نوعه على منشـــأة اســـتراتيجية في إيران، إلا أن التصريحات التي صدرت عن ميخايلو بودولاك مستشار الرئيس الأوكراني بأن «منطق الحرب مقيت ويجعل المرتكبين والمتواطئين يدفعون الثمن»، قد دفعت إيران للشـــك في اشتراك أوكرانيا مع إسرائيل التي اتهمتها إيران فور وقوع التفجير بتنفيذه[29].

2. الرهان الإيراني على الدور الروسي في سوريا

على الرغم من الدعم الروســـي المحدود للموقف الإيراني في الصراع بين إيران وإســـرائيل في منطقة الشـــرق الأوسط، إلا أنه يبدو أن طهران لا تزال تعول على دور روسيا في الحفاظ على المعادلة الحالية داخل ســـوريا بما يخدم مصالح إيران، وثمة تداعيات خطيرة يمكن أن تتعرض لها روسيا في حال خروجها مهزومة من الحرب في أوكرانيا أو على الأقل إنهاكها في حرب طويلة لم تكن مُســـتعدة لها، بشكل سوف يؤثر حتمًا على تواجدها القوي في الداخل السوري، الأمر الذي ســـيُعرضها للانكشاف أمام المعارضة الســـورية المسلحة، وبالتالي تسعى طهران إلى تجنب تحمل تكلفة هزيمة روســـيا في الحرب، وبالتالي تلافي تداعيات هذه الهزيمة على مصالحها في سوريا[30].

أما روسيا فلا تزال تعول على الدعم العسكري الإيراني في الحرب الروسية ضد أوكرانيا، وقد زار ســـكرتير مجلس الأمن القومي الروسي، سيرجي شـــويغو، طهران ووصف اغتيال هنية بأنه «مأســـاوي وأمر من المســـتحيل تجاوزه» في المحادثات مع الحكومة الإيرانية. وقال نائب وزير الخارجية الروســـي ميخائيل بوغدانوف في تصريح منفصل: إن موســـكو «تدعـــو الجميع إلى الامتناع عن تصعيد الوضع حتـــى لا يتحول إلى كارثة لجميع اللاعبين الإقليميين»[31]. وأعربت موسكو عن اســـتيائها من اغتيال إسرائيل لحسن نصر الله، حيث أكد مندوب روســـيا الدائم لدى الأمم المتحدة فاســـيلي نيبينزيا أن إسرائيل بقتلها لحسن نصر الله، تعمدت تصعيد النزاع، وتتحمل المسؤولية الكاملة عن التصعيد[32].

وقد تعزز التطورات الأخيرة على صعيد الحرب الروســـية-الأوكرانية من توجه البلدين للإبقاء على مستوى التعاون بينهما، خاصةً بعد توغل أوكرانيا في منطقة كورسك الروسية الذي نفذته في الســـادس من أغســـطس 2024م الذي يعد أهم تطـــور على الإطلاق منذ الاجتياح الروسي لأوكرانيا في فبراير 2022م، حيث تمكنت أوكرانيا وللمرة الأولى منذ اندلاع

الحرب من قلب معادلة التوازن لصالحها على الأرض باختراق العمق الروسي لأكثر من ألف كيلومتر، وهو ما يدفع الجانب الروسي إلى مزيد من التصعيد لطرد القوات الأوكرانية من كورسك، والحصول على الدعم العسكري من القوى الصديقة مثل إيران، في مقابل الدعم العسكري المتزايد والمقدم لأوكرانيا[33].

3. توجهات المرشحين «الديمقراطيين» و«الجمهوريين» في الانتخابات الأمريكية

يرى مراقبون أن خيارات السياسة الإيرانية تجاه تعزيز العلاقات مع واشنطن سوف تكون أكثر صعوبةً إذا فاز دونالد ترامب في الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وأعاد إحياء سياسات «الضغط الأقصى» على إيران[34]. ومن ثم فإن فوز ترامب في هذه الانتخابات سوف يحد من فرص إحياء خطة العمل الشاملة المشتركة حال وصوله إلى البيت الأبيض مرة أخرى، وربما تطالب إدارة ترامب في حال رغبتها الإبقاء على الاتفاق النووي مع إيران إدراج بعض الملفات الأخرى، مثل نفوذ إيران الإقليمي الأمر الذي تعده طهران أحد الخطوط الحمراء التي لا يمكن أن تسمح بتجاوزها[35].

أما بالنسبة لكامالا هاريس، فإن الظروف المرتبطة بالاتفاق النووي لعام 2015م قد تغيرت، فإيران لديها قدرات إضافية لم تكن لديها في 2015م، مثل قدرتها على تخصيب اليورانيوم، وإنتاج قنبلة نووية في مدى قصير؛ لذلك فإن العودة إلى اتفاق 2015م غير واردة[36]. ويُشير مراقبون إلى أن سياسة هاريس ستتشابه إلى حدٍ كبير مع الإدارات الديمقراطية السابقة، وأن بايدن بذل جهودًا لاعتماد الدبلوماسية لكنها لم تسفر عن أي اتفاق، ولم يكن بايدن يسعى إلى زيادة الضغط على إيران، ولكن واشنطن ردت عندما ضربت طهران قواتها، وأيضًا حين هددت إسرائيل، وعلى هذا الأساس يتوقع موقفًا مماثلًا من إدارة ديمقراطية أخرى في المستقبل. كما أن التطورات في منطقة الشرق الأوسط، والتي تعد إيران جزءًا منها، ستجعل هاريس غير مُستعدة للانخراط في أي نوع من المفاوضات الدبلوماسية النووية مع الإيرانيين حال فوزها بمنصب الرئاسة[37].

4. ضغوط الحرس الثوري والتيار «المتشدد» في إيران

يتفق العديد من المراقبين على أن قدرة الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان على إحداث تغيير في السياسة الخارجية محدودة، خاصةً تجاه روسيا، ولاسيما في ظل قبضة «المتشددين» على السلطة داخل البلاد، لذلك يواجه بزشكيان مهمة صعبة، وربما مستحيلة، في حشد الدعم من المرشد الإيراني، الذي يتخذ القرار النهائي في أغلب مسائل الأمن القومي. وفي السنوات الأخيرة، كانت قرارات خامنئي بشأن هذه الملفات خاضعة إلى حد كبير لتوجيهات الحرس الثوري والفصائل السياسية الأكثر تشددًا في إيران[38].

ويمنح النظام الإيراني المرشد الأعلى صلاحيات واسعة، وهذا ينطبق بشكل خاص على السياسة الخارجية. فالصلاحيات الرسمية للرئيس تقتصر إلى حد كبير على السياسة الداخلية، مع احتفاظ المرشد بالسيطرة على القرارات الرئيسية المتعلقة بالسياسة

الخارجية. وتُشـــير المواجهات التي جرت في إبريل 2024م مع إسرائيل، والتي كانت المرة الأولى تهاجم فيها الدولتان بعضهما بشكل مباشـــر وعلني، على الرغم من العداء المستمر منذ 35 عامًا، إلى أن النظام الإيراني أصبح أكثر ميلًا إلى المواجهة أكثر من أي وقت مضى[39].

لذلك، فإن توقع تغيير كبير أو جوهري في السياســـة الخارجية لإدارة بزشـــكيان أمر غير واقعي ما لم تُظهِر المراكز غير المنتخبة القوية في إيران اســـتعدادًا للتغيير، وهو أمر غائب أو غير واضح حاليًا. ويسمح هيكل وتدفق الســـلطة داخل إيران للمؤسسات غير المنتخبة بتعطيل الخطط وإحباطها التي تضعهـــا الهيئات المنتخبة مثل الحكومة ومجلس الوزراء، لكن الأخير لا يستطيع أن يفعل الشيء نفســـه، خاصةً في مجال السياسة الخارجية، وقد يكون بزشـــكيان ووزير خارجيته عباس عراقجي قادرين على الاضطلاع بوظيفة دبلوماسية رســـمية من حيث التفاعلات بين الحكومات. ومع ذلك، فإن هؤلاء لن يقودوا السياســـة أو يكونوا منفذيها الوحيدين، إذ ستظل قوة القدس التابعة للحرس الثوري الإيراني تلعب دورًا حاسمًا على الأرض في تنفيذ السياسة الخارجية.[40]

خامسًا: المسارات المستقبلية للعلاقات الإيرانية-الروسية

يأتي تولي مســـعود بزشـــكيان رئاســـة إيران في خضم تحولات تشـــهدها البيئة الدولية والإقليمية، فعلى الصعيد الدولي، يترقب العالم نتائج السباق الرئاسي بين ترامب وهاريس، فيما يستمر تصاعد الحرب الروسية-الأوكرانية وتداعياتها على تحركات روسيا الخارجية، وتشهد البيئة الإقليمية تصاعد التوتر بين إســـرائيل وإيران وحزب الله اللبناني بعد عملية اغتيال إسرائيل لرئيس المكتب السياسي لحركة حماس، إسماعيل هنية، واغتيال إسرائيل القيادي في حزب الله فؤاد شكر، ثم اغتيال إســـرائيل للأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله، وضغوط الحرس الثوري الإيراني والمرشد الإيراني برد إيراني قوي على إسرائيل، وهو ما دفع الولايات المتحدة إلى حشـــد قواتها في المنطقة تحسبًا للرد على هجوم إيراني مُحتمل ضد إسرائيل. فيما يواجه الرئيس الإيراني العديد من التحديات الداخلية التي تفرض عليه ضرورة التعامل معها بحذر، خاصةً الوضع الاقتصادي المتدهور بســـبب العقوبات الغربية على إيران، وحالة الانقسام والخلاف حول توجيه ضربة عسكرية قوية لإسرائيل. وفي هذا الســـياق الدولي والإقليمي والإيراني يمكن توقع ثلاثة ســـيناريوهات مستقبلية للعلاقات الإيرانية-الروسية، وذلك على النحو الآتي:

السيناريو الأول: التحالف الإستراتيجي

يتوقع هذا السيناريو أن إدارة الرئيس بزشكيان سوف تعمل على تعزيز العلاقات مع موسكو والارتقاء بها إلى مســـتوى التحالف الإســـتراتيجي، من خلال توقيع المزيد من الاتفاقيات الأمنية والدفاعية التي تضمن دعم كل طرف منهما للآخر سياسيًا وعسكريًا، حيث تستمر طهران في تقديم الدعم العسكري لموسكو في الحرب ضد أوكرانيا، في حين تقدم موسكو لطهران الدعم السياسي في منطقة الشرق الأوسط، كما تقدم موسكو السلاح الذي تطلبه

طهران بدون قيد أو شـــرط. ويفترض هذا السيناريو أن التوتر الإقليمي بين إيران وإسرائيل والولايات المتحدة من جانب، واســـتمرار تصاعد الحرب الروسية-الأوكرانية، يوفر فرص ملائمة لدفع البلدين لهذا الخيار، والمُضي قدمًا في سياســـة التوجه شـــرقًا ويعزز من ذلك إعلان بزشكيان أن روســـيا وإيران ســـتوقعان اتفاقية شراكة إســـتراتيجية شاملة في قمة البريكس في أكتوبر 2024م.[41]

ويبدو هذا السيناريو مستبعدًا لعِدة أسباب، وأهمها تردد إدارة بزشكيان في التوقيع على الاتفاق الإستراتيجي مع روســـيا، الذي تأخر التوقيع عليه بسبب رغبة الرئيس الإيراني في مراجعة وإعادة النظر في الاتفاق[42]، وهذا يعني أن طهران بصدد مراجعة علاقاتها مع روسيا، ناهيك عن وجود خلافات بين النخبة السياسية الإيرانية حيال العلاقات مع روسيا.

ويشير مراقبون إلى أن هناك عوامل عديدة تجعل من الصعب على إيران وروسيا الدخول في تحالف إســـتراتيجي على غِرار التحالف بين روســـيا وبيلاروســـيا، ومن أبرزها اختلاف أولويات كل طرف، حيث تعد الحرب الروسية-الأوكرانية أولوية بالنسبة لروسيا، أما إيران تنظر إلى الصراع في منطقة الشـــرق الأوســـط كأولوية، ناهيك عن ضعف مستوى الثقة التاريخية بين البلدين، حيث يســـتخدم كل طرف الآخر كورقة مساومة وضغط مع الدول الغربية، وقد سعت موســـكو دائمًا إلى تعطيل التوصل إلى اتفاق بين إيران والدول الغربية حول البرنامج النووي الإيراني.

وثمة ما يُشـــير إلى وجود تفاهمات ضمنية بين الدول الأوروبية وإيران على عدم تزويد موسكو بصواريخ باليســـتية، وفي المقابل، لاتزال روســـيا تتردد في تزويد طهران ببعض الأســـلحة والنظم الدفاعية كنظام إس-300، وذلك لعدم إثارة العداء مع إسرائيل وخصوم طهران في منطقة الشـــرق الأوســـط، بما في ذلك بعض الدول الخليجيـــة. وجدير بالذكر الإشـــارة إلى الخلافات العميقة تجاه تحركات البلدين في منطقة القوقاز، لا سيما مساعي روســـيا مؤخرًا في التقارب مع أذربيجان ودعم مشروع إنشـــاء «ممر زنغزور» والضرر الذي تنظر إليها إيران من جراء هذه التحركات الروسية على مصالحها الحيوية في هذه المنطقة، علاوةً على تلكؤ الروس في مجال اســـتكمال محطة بوشـــهر للطاقة النوويـــة، إذ لم تُحل الخلافات بين موســـكو وطهران بالكامل، ويكفي أن نتذكر كيف تغض موسكو الطرف عن الهجمات الإســـرائيلية ضد القوات الإيرانية في ســـوريا، أو منع إيران المقاتلين الروس من استخدام قواعدها العسكرية بسوريا[43].

السيناريو الثاني: التحالف التكتيكي

يتوقع هذا السيناريو أن البلدين سوف يحافظان على نوع من التحالف السياسي والعسكري المؤقت، الـــذي يرتبط بالضرورة التـــي تفرضها الحرب الروســـية-الأوكرانية والعقوبات الغربية بالنسبة لموسكو، والضرورة التي تُمليها التوترات مع الدول الغربية بسبب البرنامج النووي والعقوبات الغربية والتصعيد الإســـرائيلي في منطقة الشـــرق الأوســـط بالنسبة

لطهران، وبالتالي فإن البلدين سـوف يعملان على دعم كل منهما للآخر بشكل مؤقت، وفي نطاق جغرافي محدد، وسقف أقصى وتعاون عسكري محدود، ومن ثم فهو تحالف تكتيكي في مواجهـة الضغوط الأمريكية، لذلك قـد يزول هذا التحالف في حال توصل موسـكو لصفقة مع الدول الغربيـة لإنهاء الحرب في أوكرانيا، أو توصـل طهران لصفقة مع الدول الغربية حول برنامجها النووي.

ويفترض هذا السـيناريو أن روسـيا وإيران قد وصلتا إلى السقف الذي لا يمكن تجاوزه في تقديم كل منهما الدعم للآخر، وأن هذا السـقف لم يعد يحقـق للطرفين أو أحدهما أي مكاسب إسـتراتيجية مثلما تقدمه الصفقة المتوقعة مع أطراف أخرى، ويمكن أن يحدث ذلـك في حال توصلت الـدول الغربية إلى صفقة مع بوتين لإنهاء الحـرب في أوكرانيا، أو التوصل لصفقة مع النظام الإيراني لتحييد الدعم العسكري الإيراني لروسيا في أوكرانيا.

ويبدو هذا السـيناريو مُرجحًا في ظل استمرار الحرب الروسـية في أوكرانيا، وضعف مؤشـرات التقارب الأمريكي-الإيراني، مع عدم تقديـم الديمقراطيون وعود أو مقترحات محددة بخفض التوترات مع إيـران حول برنامجها النووي، ناهيك عن اسـتمرار التوترات بين إسرائيل وإيران ومحور المقاومة، على من محاولات التهدئة والتوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار في غزة، وتمسك طهران وحزب الله بضرورة تنفيذ ضربة عسكرية ضد إسرائيل، ردًا على اغتيالها للقيادي في حزب الله فؤاد شـكر، ورئيس مكتب حركة حماس إسـماعيل هنية.

السيناريو الثالث: التعاون البراجماتي

يتوقع هذا السـيناريو أن يحافظ البلدان على التعاون السياسي، مع الالتزام بالحياد وعدم التدخـل لدعم كل منهما للآخر، ويعني هذا أن إيران سـوف تُحافظ على عدم التدخل لدعم روسـيا في الحرب ضد أوكرانيا، في مقابل عدم تدخل موسـكو لدعم طهران في سوريا، أو حربها ضد إسـرائيل، أو الموافقة على صفقات سلاح من شـأنها أن تثير غضب إسـرائيل وخصوم طهران في منطقة الشرق الأوسط.

ويتفق هذا السيناريو مع رؤية الرئيس «الإصلاحي» مسعود بزشكيان، الذي يدعو إلى الحفاظ على نوع من التوازن تجاه العلاقات مع الشـرق والغرب، حيث تتجه إيران للحفاظ على علاقاتها مع روسيا وتحافظ على علاقات هادئة و «براجماتية» معها، في الوقت الذي تتجه فيه طهران إلى تعزيز التقارب مع واشنطن وإحياء المفاوضات حول البرنامج النووي الإيراني.

ويفترض هذا السـيناريو مرونة المرشـد الأعلى تجاه التوجهـات الخارجية للرئيس بزشكيان من أجل رفع العقوبات واحتواء التوترات الداخلية، وفتح قنوات الاتصال مع الدول الغربية لإحياء الاتفاق النووي، كما يفترض هذا السيناريو أن الإدارة الأمريكية الجديدة قد تجد أنه من المناسـب فتح الحوار مع طهران لاحتواء التوتـرات المتنامية في المنطقة[44]،

وإحياء خطة العمل الشـــاملة المشتركة النووية، وهو أمر لا يستطيع بزشكيان أن يبادر إليه دون موافقة خامنئي والحرس الثوري الإيراني[45].

وخلاصـــة القول، يبدو أن مســـتقبل العلاقات الإيرانية-الروســـية ســـوف يكون بين السيناريوهين الثاني والثالث، أي ما بين التحالف التكتيكي لمواجهة الضغوط الأمريكية، والتقارب «البراجماتي» الذي يضمن نوع من التوازن لإيران في علاقاتها مع الشـــرق بشكل لا يؤثر على علاقاتها مع الدول الغربية، كما يضمن لروسيا حرية الحركة في منطقة الشرق الأوسط، وتحقيق نوع من التوازن في العلاقات بين إيران وإسرائيل والدول الخليجية.

خاتمة

يمكن القول، إن العلاقات الإيرانية-الروســـية في عهد الرئيس الســـابق إبراهيم رئيســـي ظلـــت في نطاق التحالف التكتيكي وليس التحالف الإســـتراتيجي، ولا يُتوقع لها أن تتطور في عهد الرئيس مسعود بزشـــكيان إلى مستوى التحالف الإســـتراتيجي، فعلى الرغم من تطورها فهي لا تخلو من خلافات سياسية، ومن ثم لا يمكن وصفها بالتحالف الإستراتيجي، على غرار العلاقات بين روســـيا وبيلاروسيا على ســـبيل المثال، ومن المرجح أن تظل هذه العلاقات بين ســـيناريوهات «التحالف التكتيكي» و«التعـــاون البراجماتي»، الذي تُمليه المصلحة والســـياق الدولي والإقليمي، حيث تدفع الحرب الروسية-الأوكرانية والتصعيد في منطقة الشرق الأوسط هذه العلاقات في مسار التعاون «البراجماتي» وليس التحالف الإستراتيجي، فبينما تحافظ روسيا على علاقات استراتيجية مع إيران دون أن تصطف معها في مواجهة إســـرائيل أو دول الخليج، تســـعى إيران للتوصل إلى صفقة مع الدول الغربية لرفع العقوبات. ومن ثم يبقى مســـتقبل هذا التعاون محـــدودًا في نطاق لا يتعدى التحالف التكتيكي والتعاون «البراجماتي»، وسيعتمد ترجيح الطرفين لمسار العلاقات بينهما على مدى التطورات والمتغيرات على ساحة الحرب في أوكرانيا ومنطقة الشرق الأوسط، وحدود الانخراط الأمريكي وتوجهات الإدارة الأمريكية القادمة إزاء روسيا وإيران، فقد تستمر الإدارة الأمريكية في عزل الدولتين، أو تتجه نحو فتح الحـــوار مع إيران، بالإضافة إلى مدى مرونة المرشد، وحدود الضغوط التي سيمارسها الحرس والتيار المحافظ على الرئيس بزشكيان.

المصادر والمراجع

(1) Hamidreza Azizi, Iran's Policy, and its Relations with China and Russia, Issue Brief, (September 2023), accessed: October 1, 2024, https://n9.cl/bh1z6

(2) Idem.

(3) Nikolay Kozhanov, Iran's election may change the direction of its relations with Russia, (28 June 2024), accessed: October 1, 2024, https//:n.9cl/rqw7v

(4) Daniel Byman, Can Iran's New President Change the Regime's Confrontational Foreign Policy?, (9/11/2024), accessed: October 1, 2024, https://n9.cl/csm1f

(5) Frederick W. Kagan (et al), Why You Can't be an Iran Hawk and a Russia Dove, (18/4/2024), accessed: October 1, 2024, https://n9.cl/s7kre

(6) Idem.

(7) صحيفة الشرق الأوسط، "روسيا تتوقع اتفاقية تعاون شامل جديدة مع إيران قريباً جداً"، (2024/6/25م)، تاريخ الاطلاع: 1 أكتوبر 2024م، https://n9.cl/qrpft

(8) صحيفة الشرق الأوسط، "عبد اللهيان: لا نتسامح مع تدخل روسيا أو طرف آخر في سلامة أراضينا"، (2023/7/17م)، تاريخ الاطلاع: 1 أكتوبر 2024م، https://n9.cl/empa1

(9) أحمد بن ضيف الله القرني، "آفاق التخادم الإستراتيجي الروسي-الإيراني في سوريا"، (2020/6/18م)، تاريخ الاطلاع: 1 أكتوبر 2024م، https://n9.cl/s2od5

(10) Hamidreza Azizi, Can Pezeshkian fix Iran's relations with the West?,17/7/2024, accessed: October 1, 2024, https://n9.cl/721p7

(11) عبد الرؤوف مصطفى، يحي بوزيدي، "التغيير والاستمرارية في السياسة الإيرانية في عهد الرئيس بزشكيان"، (الرياض: المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، 2024م)، ص 4، 5.

(12) المرجع السابق، ص 5، 6.

(13) المرجع السابق، ص 10، 11.

(14) Samuel Ramani, Neither East nor West: Pezeshkian's Challenge to Redefine Iran's Global Stance, (July 11, 2024), accessed: October 1, 2024, https://n9.cl/ylixd

(15) عبد الرؤوف مصطفى ويحي بوزيدي، مرجع سابق، ص 13.

(16) Hamidreza Azizi , Can Pezeshkian fix Iran's relations with the West?, Ibid.

(17) Ellie Geranmayeh, Managed reform: What Iran's new president means for European diplomacy?, (10/7/2024), accessed: October 1, 2024, https://n9.cl/4dom0

(18) عبد الرؤوف مصطفى ويحي بوزيدي، مرجع سابق، ص 14.

(19) Daniel Byman, Can Iran's New President Change the Regime's Confrontational Foreign Policy?, Ibid.

(20) رانيا مكرم، "محفزات وكوابح استمرار إيران في دعم روسيا في الحرب على أوكرانيا"، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، فبراير 2023م، ص 55.

(21) Daniel Byman, Can Iran's New President Change the Regime's Confrontational Foreign Policy?, Ibid.

(22) Iran's election may change the direction of its relations with Russia, Ibid.

(23) Center for Strategic & International Studies: Understanding the Growing Collaboration Between Russia and Iran, (June 12, 2024), accessed: October 1, 2024, https://n9.cl/toohd

(24) Idem.

(25)Ellie Geranmayeh, Managed reform: What Iran's new president means for European diplomacy?, Ibid.

(26) المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، "الغارات الإسرائيلية على حزب الله.. الاتجاهات والمآلات"، (2024/10/7م)، تاريخ الاطلاع: 1 أكتوبر 2024م، https://n9.cl/uohy82

(27) صحيفة الشرق الأوسط، ماذا وراء الخلاف الحاد بين نتنياهو وماكرون؟، (2024/10/6م)، تاريخ الاطلاع: 1 أكتوبر 2024م، https://n9.cl/bih9nc

(28) Mohammed A. Salih, Pezeshkian and Iran's Regional Policy: Continuity and Grappling with Structural Constraints, (July 2024), accessed: October 1, 2024, https://n9.cl/bowpb

(29) رانيا مكرم، محفزات وكوابح استمرار إيران في دعم روسيا، مرجع سابق، ص 55.

(30) المرجع السابق.

(31) Jon Gambrell, High-wire diplomacy on possible Iran retaliation in the Israel-Hamas war draws in world, (14/8/2024) , accessed: October 1, 2024, https://n9.cl/s0921

(32) قناة روسيا اليوم، "روسيا: إسرائيل بقتلها نصر الله تعمدت تصعيد النزاع"، (2/10/2024م)، تاريخ الاطلاع: 1 أكتوبر 2024م، https://cl.n9/mpu1n7

(33) دانة العنزي، "التوغل الأوكراني في كورسك: الدلالات والتبعات، (27/8/2024م)، تاريخ الاطلاع: 1 أكتوبر 2024م، https://cl.n9/2njtq

(34) Ellie Geranmayeh, Managed reform: What Iran's new president means for European diplomacy?, Ibid.

(35) ميرفت زكريا، مستقبل العلاقات الأمريكية-الإيرانية حال فوز ترامب في الانتخابات الرئاسية القادمة، (7/4/2024م)، تاريخ الاطلاع: 1 أكتوبر 2024م، https://cl.n9/yfbhz

(36) المجلة، روبرت فورد، إيران ضعيفة... ونقطة خلاف أساسية بين هاريس وترمب، (26/8/2024م)، تاريخ الاطلاع: 1 أكتوبر 2024م، https://cl.n9/sywm8

(37) صحيفة الشرق الوسط، "التفاوض أو الردع؟...إيران بين هاريس وترمب"، (30/8/2024م)، تاريخ الاطلاع: 1 أكتوبر 2024م، https://cl.n9/yvb6o

(38) Ellie Geranmayeh, Managed reform: What Iran's new president means for European diplomacy?, Ibid.

(39) Daniel Byman, Can Iran's New President Change the Regime's Confrontational Foreign Policy?, Ibid.

(40) Mohammed A. Salih, Pezeshkian and Iran's Regional Policy, Ibid.

(41) Samuel Ramani, Ibid.

(42) مركز التقدم للسياسات، "لماذا يتأخر إبرام الاتفاق الاستراتيجي بين روسيا وإيران؟"، (21/8/2024م)، تاريخ الاطلاع: 1 أكتوبر 2024م، https://cl.n9/l6mh99

(43) مسعود الزاهد، "مستقبل العلاقات بين موسكو وطهران.. بظل رئيس إصلاحي بإيران"، (12/7/2024م)، تاريخ الاطلاع: 1 أكتوبر 2024م، https://cl.n9/q9bnm

(44) Daniel Byman, Can Iran's New President Change the Regime's Confrontational Foreign Policy?, Ibid.

(45) Mohammed A. Salih: Pezeshkian and Iran's Regional Policy, Ibid.